مجلة جامعة المحـــويت العلمية
Mahweet University Scientific Journal (MUSJ)
Vol (1), No (1) (2026)
Pages 18-44
المجلد (1)، العدد (1) (2026)
الصفحات 18-44

الواقع الاستشرافي في ضوء سورة الهُمَزَة دراسة موضوعية

علي عبد الله محمد الحيد
قسم الدراسات الإسلامية- كلية الآداب- جامعة صنعاء

The predictive reality in light of Surah Al-Humazah Objective study

Ali Abdullah Mohammed Al-Hayd
Department of Islamic Studies - Faculty of Arts - Sana'a University

(**تاريخ الاستلام:** 2026/02/25م، **تاريخ المراجعة:** 2026/03/2م، **تاريخ القبول:** 2026/03/20م)

***Corresponding author:** alialhaid996@gmail.com*

الملخص:

يهدف البحث إلى التعرف على سمات سورة الهُمَزَة، وعمودها، وأغراضها، كما يكشف عن موضوعات السورة، وما اشتملت عليه من هدايات ربانية، تلامس حياة المسلم، وترشده إلى الابتعاد عن السلوك الخاطئ، من خلال التحذير من الوقوع في الأمراض الاجتماعية التي ذكرتها السورة الكريمة، ويربط البحث بين هدايات سورة الهُمَزَة، والواقع الاستشرافي. وقد جاء البحث في مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، تناول المبحث الأول مقدمات عن سورة الهُمَزَة، بينما تناول المبحث الثاني مناسبات سورة الهُمَزَة، وعلاقتها بالوحدة الموضوعية، وتفسيرها، فيما تناول المبحث الثالث موضوعات السورة، وعلاقتها بالواقع المعاصر، وأخيرًا قدم المبحث الرابع رؤية استشرافية لعلاج الأمراض الاجتماعية التي حذرت منها السورة.

وقد أُجريَ البحث على المنهج الوصفي القائم على التحليل، والاستنباط وَفق ما يتطلبه أسلوب التفسير الموضوعي، مُخْتَتَمًا بنتائج من أبرزها: اعتبارُ الترَفِ، وجمعِ المال، والتعالي به السببَ الأبرزَ وراء ظهور كثير من الأمراض الاجتماعية، كما توصل إلى اتسام عصرنا بزيادة الأشكال، والوسائل، والأساليب التي تُسهم في نشر هذه الأمراض الاجتماعية، مما يستدعي جهودًا متعددة لمواجهة الانحراف الحاصل بسببها، وأوضح البحث أن إساءة التعامل مع الانفجار التقني –الذي يمثل سلاحًا فتاكًا– في يد من يستخدمه يُعدُّ آلة إفساد للمجتمع، ويغرقه في العديد من الانحرافات، وأخيرًا قدَّم البحث نظْرة قرآنية تربط بين هداية القرآن والواقع المعاصر، واستشراف المستقبل.

الكلمات المفتاحية: سورة الهُمَزَة، الواقع، الاستشراف.

Abstract:

The research aims to identify the characteristics of Surat Al-Humazah, its structure, and its purposes. It also reveals the themes of the surah and the divine guidance it contains, which touches the life of Muslims and guides them away from wrongdoing by warning against the social ills mentioned in the surah. The research links the guidance of Surah Al-Humazah with the present reality.The research consists of an introduction, four sections, and a conclusion. The first section deals with introductions to Surah Al-Humazah, while the second section deals with the occasions of Surah Al-Humazah and its relationship to thematic unity. The third section deals with the themes of the surah and their relationship to contemporary reality. Finally, the fourth section presents a forward-looking vision for treating the social ills warned against in the surah.

The research was conducted using a descriptive approach based on analysis and deduction in accordance with the requirements of thematic interpretation, concluding with the following key findings: considering luxury, the accumulation of wealth, and arrogance to be the most prominent causes behind the emergence of many social ills, and concluded that our era is characterised by an increase in the forms, means, and methods that contribute to the spread of these social ills, which calls for multiple efforts to address the deviance caused by them. The research clarified that the misuse of the technological explosion, which is a deadly weapon in the hands of those who use it, is a machine that corrupts society and plunges it into many forms of deviance. Finally, the research presented a Qur'anic perspective that links the guidance of the Qur'an with contemporary reality and foresight into the future.

Keywords: Surah Al-Humazah, Reality, Foresight.

المقدمة:

الحمد لله عالم السرائر، الخبير بمكنونات الضمائر، وأشهد أن لا إله إلا وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا.

أما بعد:

فإن من أشرف العلوم مقدارًا، وأرفعها منارًا علم التفسير؛ لتعلقه بخير الكلام وأفضله، نهل من معينه الأكابر، واستفاد منه البادي والحاضر، وتسابق في ميدانه العلماء، فأعملوا عقولهم في النظر في الكتاب العزيز؛ لإبراز دقيق نكاته العلمية، ونوَّعوا الأساليب في تفسيره، حتى ظهر في عصرنا الحاضر علم التفسير الموضوعي الذي أراد العلماء من خلاله معالجة مشاكل الأمة على هدى القرآن الكريم، وانطلاقًا من ذلك فإنني اخترتُ سورة الهُمَزَة، وقمتُ بدراستها، مستنبطًا منها الهدايات القرآنية التي أرشدتنا إليها آيات هذه السورة، مدركًا لحاجة المسلم المعاصر، الذي يعيش عصر الانفجار التقني الحامل في طياته كثيرًا من المتناقضات، كما يُعدُّ سلاحًا خطيرًا في يد من يحمله؛ لذلك يَمْمَتُ الحديث عنه في أسلوب موجز؛ بغية الاستفادة من هدايات السورة الكريمة، فطرقت جوانب عصرية، لم أرَ من سبقني إليها من دارسي هذه السورة، مستفيدًا من الأسلوب الموضوعي في تناولها.

أهمية البحث:

تظهر أهمية البحث في الآتي:

1- إبراز الإعجاز القرآني في ترتيبه العجيب، وتشريعاته، وهداياته رغم طول المدة التي تفصلنا عن زمن التنزيل.

2- إظهار عظمة سورة الهُمَزَة، ومدى تماسكها، ومناسبتها لما قبلها، وما بعدها.

3- التركيز على إفراد سورة الهُمَزَة بدراسة مستقلة تُسهم في ربط الواقع الاستشرافي بهدايات هذه السورة.

سبب اختيار الموضوع:

اخترتُ سورة الهُمَزَة دون غيرها؛ لما يأتي:

1- لما تتمتع به من تقديم علاج كافٍ لبعض الأمراض المنتشرة في أوساط المجتمع المسلم.

2- لم أرَ دراسة وافية تربط الموضوعات المعاصرة بهدايات سورة الهُمَزَة؛ مما دعاني إلى إفراد هذه السورة ببحث مستقل يظهر دررها الكامنة، ويبين دلالتها، وهداياتها من هذه الحيثية.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الآتي:

1- بيان السمات الأساسية لسورة الهُمَزَة، وعمودها، وغرضها الذي تدور حوله.

2- إيضاح المناسبات المتعلقة بسورة الهُمَزَة، وعلاقتها بالوحدة الموضوعية، وتفسيرها.

3- الحديث عن الموضوعات المندرجة ضمن سورة الهُمَزَة، وبيان الوسائل، والأساليب والأشكال والأنماط المعاصرة، في نشر الأمراض الاجتماعية التي حذرت منها السورة، وتقديم رؤية استشرافية قرآنية لمعالجة تلك الأمراض.

أسئلة البحث:

يدور البحث حول الإجابة عن سؤال رئيس، وهو:

هل اشتملت سورة الهُمَزَة على معالجة مشكلات يعشيها المسلم المعاصر؟

ويتفرع عنه الأسئلة الآتية:

1- ما السمات الأساسية لسورة الهُمَزَة؟ وما المناسبات، والموضوعات التي اشتملت عليها؟

2- ما الأمراض الاجتماعية التي حذرت منها سورة الهُمَزَة؟

3- ما الأشكال والأساليب والوسائل المعاصرة في نشر الأمراض الاجتماعية التي اشتملت عليها سورة الهُمَزَة؟

4- ما النظرة القرآنية للمادية المعاصرة التي تحدثت عنها سورة الهُمَزَة؟

5- ما العلاج الذي قدمته سورة الهُمَزَة للأمراض الاجتماعية التي حذرت منها؟

الدراسات السابقة:

زخرت المكتبة القرآنية بالتفاسير التحليلية، والموازنة، والإجمالية، وقد برزت دراسات موضوعية عديدة إلا أنه غلب عليها المصطلح القرآني، أو الموضوع القرآني أكثر من غيره، ثم ظهر الاتجاه نحو دراسة الوحدة الموضوعية لكل

سورة على حدة، ووُجِدَتْ دراسات عديدة في هذا المنحى التفسيري، ومن خلال تتبعي فإني وجدت فجوات في دراسة هذه السورة، لم تناقشها الدراسات السابقة التي سأقتصر على ذكر ما له صلة بموضوع بحثي، وهي على النحو الآتي:

1- سورة الهُمَزَة دراسة موضوعية، للباحثين/ سلام عبود حسن، وخليل ذياب أحمد، وهذه الدراسة عبارة عن بحث محكم منشور في مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل كلية التربية للعلوم الإنسانية، المجلد 17، العدد 4، 2010/12/31م، عدد صفحات البحث(22) صفحة، ولكني لم أستطع الحصول على محتواها، غير أني اطلعت على الملخص فقط، وفي ظاهره أنه يختلف عن بحثي.

2- سورة الهُمَزَة دراسة موضوعية دعوية وتربوية، للباحثة/ شريفة بنت عبد الكريم فريحات، وهي عبارة عن بحث محكم منشور، في مجلة العلوم الإسلامية، المجلد 2، العدد 7، ديسمبر 2019م، الصادرة عن المؤسسة العربية للعلوم ونشر الأبحاث (AISRP)، وهي دراسة جيدة؛ إذ حاولت الباحثة الاستفادة من السورة تربويًا، غير أنها وقفت عند الآثار السيئة لبعض موضوعات السورة، وأثرها على الفرد والمجتمع، كما أنها أغفلت الواقع المادي الذي تعيشه الجاهلية المعاصرة، وأيضًا لم تتطرق إلى الآثار السلبية لجميع الأمراض الاجتماعية التي تضمنتها السورة، وفاتتها جوانب أخرى تعالج الواقع الذي يعيشه الناس الآن، وفي المستقبل، وقد جاء هذا البحث؛ ليسدها بإذن الله.

الإضافة العلمية التي احتواها موضوع البحث:

ركزت في بحثي هذا على جانب هدايات سورة الهُمَزَة التي تلامس واقعنا المعاصر، بطريقة علمية مختصرة تتناسب مع الحجم المراد نشره، كما أنني ناقشت فيه الوسائل، والأشكال العصرية في جلب الأمراض الاجتماعية التي حذرت منها هذه السورة العظيمة.

منهج البحث وإجراءاته:

اتبعتُ المنهج الوصفي القائم على التحليل، والاستنباط، مستفيدًا من التفسير الموضوعي في مخاطبة القارئ للاستفادة من هدايات القرآن الكريم، وقد سرت فيه وَفْقًا للخطوات الإجرائية الآتية:

- كتبت الآيات بالرسم العثماني بين قوسين مزهرين، متبوعة باسم السورة، ورقم الآية بين معكوفين، وَفْقًا لمصحف المدينة النبوية.
- خرَّجت الأحاديث الواردة في متن البحث من مصادرها الأصيلة، مع ذكر حكم العلماء على درجة الحديث، إن كان خارج الصحيحين، فإن كان في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بالعزو إليهما.
- لم أترجم للأعلام، والأماكن، ونحوها؛ خشية الإطالة وإثقال البحث.
- اكتفيت في التوثيق بالعزو إلى المؤلف مع الكتاب بالجزء والصفحة، دون بقية التفاصيل؛ بغية الاختصار.

تقسيمات البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يشتمل على مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، تناولت المقدمة أهمية البحث، وأسباب اختياره، وأهدافه، وأسئلته، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وإجراءاته، وتقسيماته، وذلك على النحو الآتي:

المبحث الأول: مقدمات عن سورة الهُمَزَة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسم سورة الهُمَزَة، وعدد آياتها، وزمان ومكان نزولها، وترتيبها.

المطلب الثاني: ملامح الدعوة الإسلامية حين نزول سورة الهُمَزَة، ومن نزلت فيهم السورة.

المطلب الثالث: عمود سورة الهُمَزَة، وسماتها، وأغراضها.

المبحث الثاني: مناسبات سورة الهُمَزَة، وعلاقتها بالتفسير الموضوعي، وتفسيرها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المناسبات.

المطلب الثاني: علاقة مناسبات سورة الهُمَزَة بالوحدة الموضوعية.

المطلب الثالث: تفسير سورة الهُمَزَة.

المبحث الثالث: موضوعات سورة الهُمَزَة، وعلاقتها بالواقع المعاصر، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: موضوعات سورة الهُمَزَة.

المطلب الثاني: واقعنا في ضوء سورة الهُمَزَة.

المبحث الرابع: رؤية استشرافية لعلاج الأمراض الاجتماعية التي حذرت منها سورة الهُمَزَة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بناء رؤية استشرافية لعلاج الأمراض الاجتماعية في ضوء سورة الهُمَزَة.

المطلب الثاني: الواقع المأمول في ضوء سورة الهُمَزَة.

الخاتمة: وقد اشتملت على أهم النتائج، والمقترحات، والتوصيات.

المبحث الأول: مقدمات عن سورة الهُمَزَة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسم سورة الهُمَزَة، وعدد آياتها، وزمان ومكان نزولها، وترتيبها:

أولًا: اسم السورة:

وجدت لهذه السورة من خلال تتبع كلام المفسرين خمسة أسماء، منها ثلاثة أسماء مشهورة، وبيان ذلك على النحو الآتي:

أ. تسمى في المصاحف، ومعظم كتب التفسير بـ(سورة الهُمَزَة)[1].

ب. سماها البخاري، وبعض المفسرين، كمجاهد، وعبد الرزاق، وابن أبي زمنين، وابن كثير، وغيرهم ، سمَّوها: سورة {وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ}، من قبيل التسمية للسورة بمطلعها[2].

(1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (535/30).
(2) ينظر: المخزومي، تفسير مجاهد (ص:748)، والبخاري، صحيح البخاري (ص:624)، والصنعاني، تفسير عبد الرزاق (395/3)، وابن أبي زمنين، تفسير القرآن العزيز(162/5)، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم (481/8).

ت. ذكر الفيروز آبادي في "بصائر ذوي التمييز" أنها –أيضًا– تسمى: بـ(سورة الحطمة؛ لذكرها فيها)[3].

وذُكِرَ لها اسمان آخران غير مشهورين، وهما:

1- سماها المُخَلِّلاتي سورة الويل[4]، ولم أجد من سماها بذلك الاسم سواه، ولعله اختصر التسمية من مطلع السورة؛ أي: من قوله تعالى: {وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ}، ولم يقصد بذلك تسمية مستقلة، أقول هذا؛ لأمور:

- لأن المُخَلِّلاتي متأخر فهو من علماء القرن الرابع عشر، ولم أعلم له سلفًا في ذلك.
- لأنه لم يذكر لها اسمًا سوى هذا الاسم، ومن المعلوم أن الاسم المشهور، هو: سورة الهمزة، مما يؤيد ما ذهبتُ إليه.
- لأن العلماء السابقين يذكرون التسمية الثانية المذكورة آنفًا، ولعله ذكرها مختصرة؛ جريًا على أسلوبه في الإيجاز، كما هو ملحوظ من مطالعة كتابه.
- ولو قلنا: إنه أراد بها تسمية اجتهادية فهذا لا يستقيم –في رأيي–؛ لالتباسه بسورة المطففين، والله أعلم.

2- ذكر أصحاب التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم أنها ذُكِرَتْ في بعض المصاحف باسم سورة (اللُّمَزَة)[5]، بَيْدَ أنهم لم يُحيلوا على مصدر معين.

ثانيًا: عدد آيات السورة:

تتألف سورة الهُمَزَة من تسع آيات بالاتفاق، كما ذكر ذلك الداني[6]، وابن عاشور[7] رَحِمَهُمَا اللهُ.

ثالثًا: زمان ومكان نزول السورة:

نزلت سورة الهُمَزَة في مرحلة الدعوة الجهرية في العهد المكي في مكة، وليس في خارجها، فيما يظهر، استدلالًا بما ذُكِر في ترتيب النزول، ومن نزلت فيهم[8]، ويرى جعفر شرف الدين رَحِمَهُ اللهُ: أنها نزلت في الوقت الواقع بين حدثين مهمين في تاريخ الدعوة الإسلامية، وهما الهجرة إلى الحبشة وحادثة الإسراء بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ[9].

والأمر المؤكد هو أن السورة مكية، لا غُبار على ذلك، ولا ارتياب فيه؛ إذ إنها معدودة في السور المكية، بلا خلاف بين المفسرين، نقل الإجماع على ذلك عدد من المفسرين، منهم: ابن عطية[10]، والقرطبي[11]، والشوكاني[12] رَحِمَهُمُ اللهُ.

رابعًا: ترتيب السورة:

(3) ينظر: الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (543/1).
(4) شرح المخللاتي على ناظمة الزهر (ص:357).
(5) مجموعة من الباحثين، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (340/9).
(6) ينظر: الداني، البيان في عد آي القرآن (ص:288).
(7) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (535/30).
(8) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن (ص:113).
(9) ينظر: شرف الدين، الموسوعة القرآنية، خصائص السور (171/12).
(10) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز (521/5).
(11) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (181/20).
(12) ينظر: الشوكاني، فتح القدير (497/5).

أ. **الترتيب الزماني (ترتيب النزول):** تعد سورة الهُمَزَة السورة الثانية والثلاثين في عِداد نزول السور، نزلت بعد سورة القيامة، وقبل سورة المرسلات[13].

ب. **الترتيب الموضعي (ترتيبها في المصحف الشريف):** سورة الهُمَزَة من سور المفصل، وهي من قصاره، وتقع في عداد سور جزء عم، وهي السورة الرابعة بعد المائة حسب الترتيب العثماني الذي اتبع فيه توقيف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ[14]؛ في الصفحة (601)، من طبعة مصحف المدينة النبوية.

المطلب الثاني: ملامح الدعوة الإسلامية حين نزول سورة الهُمَزَة، ومن نزلت فيهم السورة:

أولًا: ملامح الدعوة الإسلامية حين نزول هذه السورة:

بعد البحث والتنقيب فيما سطره المفسرون رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وتقليب النظر كرات، يلاحظ الباحث أن السورة نزلت في أيام بداية الدعوة الإسلامية، تلك الأيام التي تعاني فيها الجماعة المسلمة من الاضطهاد، والتعذيب، وصنوف التنكيل، أذى بالقول، والفعل، همز، ولمز، وتوبيخ، إلصاق للتهم، عبارات تحمل التنقيص، والشتائم بين ظهراني المسلمين، ومن خلفهم.

بينما الأمر كذلك، وعتاة الكفر يتفاخرون بأنفسهم، ويطلقون ألسنتهم في لحوم المسلمين، مصاحبًا ذلك لإطلاق بطشهم، وفتكهم بالمسلمين، تأتي سهام الوحي، وشهبه المحرقة؛ لتشعر أولئك المتغطرسين أنهم مرصودة أقوالهم، وأفعالهم، وأن مصيرهم –إن استمروا على ذلك– العذابُ الأليم في نار الله الموقدة.

فجاءت هذه السورة لتعكس الصورة الواقعية التي يعيشها المسلم في ذلك العهد الخطير، وتلك المرحلة الحرجة؛ وكأنها ترشدنا إلى أن الضعف قد يساور الأمة، وأن العتاة قد يتسلطون عليها؛ لنتخذ منها زادًا وهداية، نربط بها على قلوبنا، ونستشرف من خلالها مستقبلًا حافلًا بالخير بعد زمن الضعف، والهوان.

تلك لمحة عن الجو الذي تنزلت فيه السورة، وما كانت تعانيه الفئة المسلمة آنذاك، ترسم لنا ملمحًا من حياة المسلم حال الضعف، والقهر، والاضطهاد.

ثانيًا: من نزلت فيهم السورة:

وأما من نزلت فيهم الآيات فقد اختلف المفسرون في المَعْنِيّ بقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهُمَزَة:1]، فقيل: جميل بن عامر الجمحي، وقيل: الأخنس بن شريق[15]، وقيل: أبي بن خلف، وقيل: الوليد ابن المغيرة، وقيل: ليست خاصة بأحد؛ بل هي على العموم من غير تخصيص، وهو قول الأكثرين[16].

المطلب الثالث: عمود سورة الهُمَزَة، وسماتها، وأغراضها:

أولًا: عمود السورة:

(13) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (535/30).
(14) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (402/2).
(15) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (619/24- 620).
(16) ينظر: الماوردي، النكت والعيون (336/6).

تدور السورة حول بيان الحزب الأكثر الخاسر الذي ألهاه التكثر، فبانت خسارته يوم القيامة[17]، وتتحدث عن الكفار، ومصيرهم، وتبين صفاتهم[18].

ثانيًا: السمات العامة للسورة:

تتمثل السمات العامة لسورة الهُمَزَة (شخصية السورة كما يسميه بعضهم)[19] في بيان عقوبة الشخص العيَّاب الطعان المغتاب، كما أنها تذم من انشغل عن طاعة الله بجمع الدنيا، ولم يؤدِّ حق الله تعالى فيما جمع؛ بل منعه، وبخل به، كما أن فيها بيانَ صعوبة العقوبة التي تترقب من يقعون في الصفات التي حذرت منها هذه السورة الكريمة[20].

ثالثًا: أغراض السورة:

لهذه السورة غرض تسعى لتحقيقه؛ حمايةً للمسلم من التسلط عليه من قبل الذين لا يخافون عظمة الله، ولا يقفون عند حدوده، وهو: "وعيد جماعة من المشركين جعلوا همز المسلمين، ولمزهم ضربًا من ضروب أذاهم؛ طمعًا في أن يلجئهم الملل من أصناف الأذى، إلى الانصراف عن الإسلام، والرجوع إلى الشرك"[21].

المبحث الثاني: مناسبات سورة الهُمَزَة، وعلاقتها بالتفسير الموضوعي للسورة، وتفسيرها

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المناسبات:

أولًا: مناسبة سورة الهُمَزَة لتسميتها:

سميت هذه السورة بسورة الهُمَزَة؛ لابتدائها بقول الله تبارك وتعالى: {وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ} [الهُمَزَة:1]؛ أي: الذي يغتاب الناس، ويطعن فيهم بقول، أو فعل، أو إشارة[22]، كما تسمى سورة الحطمة؛ لذكرها فيها[23]، وأما تسميتها بالويل فسبق الحديث عنه، والتعقب عليه، وأما تسميتها باللمزة فلذكره فيها، والظاهر أن هذه الأسماء مرتبطة بعمود السورة؛ إذ إن الهمزة واللمزة جزء من الفريق الخاسر، والحطمة والويل مصير لهذا الفريق، والله أعلم.

ثانيًا: مناسبة سورة الهُمَزَة للسورة التي قبلها:

ذكر الله تعالى في سورة العصر أن الناس يتصفون بالخسارة إلا من استثناه الله تعالى، وهم فريق الناجين من بني الإنسان الذين يعملون الصالحات، ويتواصون بالحق، وختمها بالصبر، عند ذلك حصل تشوف كبير عند السامعين لمعرفة أوصاف أولئك الهالكين؛ حتى يتسنى اجتنابها، فجاءت سورة الهُمَزَة بيانًا لصفات ذلك الفريق الخاسر[24].

---

(17) ينظر: البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور (247/3).

(18) حوَّى، الأساس في التفسير (6675/11).

(19) وقد أطلق هذه التسمية الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، ينظر: (ص:287)، **قلت:** وهذه التسمية لا أراها لائقة بالسورة القرآنية؛ لأن القرآن كلام الله تعالى، ووصفه بهذه الصفة، أو وسمه بهذا الاسم ينزع عنه القداسة والجلالة والمهابة، ويجعله شبيهًا بالمخلوق الذي يُقال فيه هذا.

(20) ينظر: الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (543/1).

(21) ابن عاشور، التحرير والتنوير(536/30).

(22) الزحيلي، التفسير المنير (396/30).

(23) ينظر: الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (543/1).

(24) ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآي والسور (525/8).

ثالثًا: مناسبة سورة الهُمَزَة للسورة التي بعدها:

لما كانت سورة الهُمَزَة مبينة صفات الهالكين أعقبها الحكيم العليم بقصة نظمت حالًا من أحوال الحزب الخاسر، وهم أصحاب الفيل، قال البقاعي رَحِمَهُ اللَّهُ عن سورة الفيل: مقصودها الدلالة على آخر الهُمَزَة من إهلاك المكاثرين في دار التعاضد والتناصر بالأسباب، فعند انقطاع الأسباب أولى؛ لاختصاصه سبحانه وتعالى بتمام القدرة دون التمكن بالمال والرجال، فلما قدم في الهُمَزَة أن كثرة الأموال المسببة بالقوة بالرجال ربما أعقبت الوبال، دل عليه في هذه السورة بدليل شهودي[25]؛ أي: محسوس بالعيان، وكأنه يقول لقريش: ألم يشاهد بعضكم ما جرى لأصحاب الفيل، ويسمع كبيركم وصغيركم بقصة قدومه، فكيف كانت عاقبة من عاند الله، وخالف تشريعاته؟!

رابعًا: مناسبة آيات سورة الهُمَزَة بعضها لبعض:

من الملاحظ أن بداية السورة إجمال للعذاب؛ إذ بدأت السورة بالويل الذي هو عبارة عن تهديد، وشدة وعيد، هذه الكلمة تتضمن صنفًا مُتَوَعَدًا بالعذاب يتصف بصفات استحق بها أن يكون مهددًا بهذا العقاب؛ لذا ناسب أن تكون الآيات: الأولى، والثانية، والثالثة، بيانًا لهذا الصنف الخاسر، ولما كانت الآية الثالثة تحكي الظن الخاطئ لهذا الصنف جاءت الآية الرابعة مبينة أن الأمر ليس كما يظن، بل هو على خلاف سيره؛ إذ إن هذا المسلك تنتظره عاقبة يخسر فيها.

وكذا الآيات التي بعدها تستمر في بيان تلك العاقبة السيئة لهؤلاء الموصوفين في بداية السورة، وهكذا فإن من بديع النظم القرآني أن ابتدأت السورة بالعذاب مجملًا، ثم اختتمت بالعذاب مفصلًا، يتخلل ذلك بيان صفات المعذبين، فكأنها عقد منظوم فسبحان العليم الخبير، الذي جعلها ذات بناء واحد متماسك.

خامسًا: التناسب بين مطلع سورة الهُمَزَة، وآخرها:

جاء مطلع السورة متضمنًا الدعاء بالهلاك، والويل وهو: واد في جهنم، أو عذاب شديد، ووعيد أكيد- ناسب ذلك المطلع أن يكون ختام السورة فيه ذكرٌ اسم من أسماء النار، أو اسم لدركة من دركات السعير، وهي: الحطمة، ثم بيان صفة هذه الدركة العظيمة المهولة، قال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ: "الهُمَزَة أولها: ويل، وهو: واد من أودية النار، وآخرها الحطمة، وصفاتها"[26].

سادسًا: مناسبة سورة الهُمَزَة لسور قصار المفصل:

هذه السورة واقعة ضمن سور قصار المفصل التي بدايتها سورة الضحى، والناظر إلى هذه السور يجد أنها كسلك انتظمت فيه معالم من تشريف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ إذ إنها عُدت من الشرف الذي أوتيه نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

(25) ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب والسور، (528/8).
(26) السيوطي، مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع (ص: 83- 84).

قال الفخر الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ثم شرفه في سورة الهُمَزَة بأن ذكر الله تعالى: أن من همز ولمز، فله ثلاثة أنواع من العذاب أولها: أنه لا ينتفع بدنياه البتة، ... وثانيها: أنه ينبذ في الحطمة، وثالثها: أنه يغلق عليه تلك الأبواب حتى لا يبقى له رجاء في الخروج"[27].

قلت: وهذا الشرف وإن كان غير ظاهر لأول وهلة تقع عليها عين الناظر؛ لكن المتأمل يجد أنه شرف للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ عن طريق الاستدلال باللازم.

المطلب الثاني: علاقة مناسبات سورة الهُمَزَة بالوحدة الموضوعية:

يظهر من خلال عرض المطلب الأول أن علم المناسبات له ارتباط وثيق بالوحدة الموضوعية للسورة، لأنه يدرس ارتباطاتها مع اسمها، وارتباط الآية بما قبلها، وما بعدها، وارتباط مطلع السورة مع خاتمتها، وارتباط السورة مع عمودها، فيدرس جوانب التلاحم، والتماسك للسورة.

وانطلاقًا من ذلك فإن علم المناسبات يُعتبَر علمًا مهمًا في الوصول إلى مقصد السورة، واستخراج عمودها الذي تدور حوله، كما أنه يُكسِب الدارسَ للوحدة الموضوعية القدرةَ على حُسْنِ الربط بين موضوعات السورة، وتتفاوت قدرات المفسرين في استخراج العلاقات بين الآيات والسور؛ تبعًا للقدرة اللغوية أو العقلية.

ومن هنا فالعلاقة بين علم التناسب والوحدة الموضوعية علاقة تلازمية؛ إذ إنه لا يمكن الوقوف التام على التناسق الموضوعي للسورة إلا بالوقوف على ارتباط آيات السورة بعضها ببعض.

وقد كان صنيع الغرناطي في كتابه "البرهان في تناسب القرآن"، والبقاعي في تفسيره "نظم الدرر في تناسب الآي والسور"، والسيوطي في كتابه "تناسق الدرر في تناسب السور"، يُعَدُّ خطوة مهمة في ظهور الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية.

فكُلٌّ من التناسب والوحدة الموضوعية للسورة القرآنية يدرسان ترابط النص القرآني، وتماسكه، لكنهما يختلفان من حيث القَدْرُ للدراسة، فعلم التناسب يحاول الكشف عن التماسك الكلي للقرآن باعتباره كله وحدة واحدة، قال ابن العربي فيما نقل عنه السيوطي: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني علمٌ عظيم"[28]، وقال الغرناطي: "وإني تأملت منها –بفضل الله– وجوه ارتباطاته، وتلاحم سوره وآياته إلى ما يلتحم مع هذا القبيل عجائب شواهد التنزيل"[29]، بينما تختص الوحدة الموضوعية بدراسة موضوعات السورة، وتناسقها، كما سبق بيانه.

المطلب الثالث: تفسير سورة الهمزة:

أولًا: معاني مفردات السورة:

(27) الرازي، التفسير الكبير (309/32).
(28) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (1837/5).
(29) الغرناطي، البرهان في تناسب القرآن (ص: 181).

– {وَيْلٌ}: لفظ يدل على الشر والخزي والعذاب والهلاك[30]، قلت: وبناء عليه فإن هذا المعنى شامل لتفسير الويل: بواد في جهنم.

– {هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ}: كثير الهمز واللمز، واخْتُلِف في معنى هاتين الكلمتين اختلافًا كثيرًا، فقيل: الهمزة: المغتاب, واللمزة: العيّاب، وقيل: الهمزة: الذي يهمز الناس, واللمزة: الذي يلمزهم بلسانه، وقيل: الهمزة: الذي يهمز الشخص في وجهه إذا أقبل, واللمزة: الذي يلمزه من خلفه إذا أدبر، وقيل: الهمزة: الذي يعيب الآخرين جهرًا بيد أو لسان, واللمزة: الذي يعيبهم سرًا بعين أو حاجب[31]، وقيل: غير ذلك، **وهذه الوجوه كلها عائدة إلى شيء واحد تجتمع فيه، وهو: الطعن في الآخرين، وإظهار عيوبهم**[32].

- { وَعَدَّدَهُۥ }: أحصاه، وحافظ عليه، وقيل: أعده لنوائب الدهر، قلت: والأول أظهر؛ لأنه من العد، وهو الإحصاء، وليس من الإعداد، والله أعلم.
- { يَحْسَبُ }: يظن.
- {أَخْلَدَهُۥ}: يبقيه خالدًا في الدنيا.
- {كَلَّا}: كلمة ردع وزجر؛ أي: ليس الأمر كما يظن.
- { لَيُنۢبَذَنَّ }: واللهِ ليطرحن في النار.
- { ٱلْحُطَمَةِ}: النار؛ لأنها تحطم كل ما يُلقى فيها[33].
- { وَمَآ أَدْرَىٰكَ }: وما أعلمك.
- { ٱلْمُوقَدَةُ}: المشتعلة الملتهبة.
- { تَطَّلِعُ}: مبالغة في الإتيان بسرعة، أو أنها بمعنى: تكتشف وتستظهر، وتعاين، قلت: ويصلح أن تكون شاملة للمعنيين؛ إذ إن عذابها واصل إلى القلب، كاشف عنه.
- { مُّؤْصَدَةٌ }: مغلقة مطبقة.
- {فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ }، العَمَد: جمع عمود، وهي: أعمدة في النار يعذبون بها، وممددة: وصف للعمد؛ أي: مطولة، والمعنى: موثوقين في عمد، كما يوثق المسجون المغلظ عليه[34].

ثانيًا: المعني الإجمالي للسورة:

(30) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (181/20).
(31) ينظر: الماوردي، النكت والعيون (335/6).
(32) الرازي، التفسير الكبير (284/32).
(33) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (183/20- 184).
(34) ينظر: التحرير والتنوير (540/30- 541).

يقول جل جلاله: بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ {وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ٩} [الهمزة:1– 9].

يتوعد ربنا جل وعلا كُلَّ { هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ} بالخزي والعذاب الشديد والهلاك، وواد في جهنم يسيل من صديد أهل النار وقيحهم؛ جمعًا بين قولي المفسرين، وهذا الوعيد مرصود لكل غياب طعان عياب للناس، متلذذًا بذلك الخلق الدنيء، غير مكترث بمشاعر الآخرين.

وقوله تعالى: {ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا}؛ أي: الإنسان الذي اتصف بجمع المال، وإحصائه وتعداده، والفرح به، والركون إليه، في حين لم ينفقه في سبيل الله، ولم يؤدِّ حق الله تعالى فيه، ولكنه جمع ماله، فأوعاه وحفظه، وبالغ في الإعجاب به حتى كان منه أنه {يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ }؛ أي: يحسب ذلك الجموع المنوع أن ماله الذي جمعه وأحصاه، وبخل بإنفاقه، مخلده في الدنيا، مُبْقيًا له في الحياة، مُزيلًا عنه الموت، { كَلَّا}؛ أي: ردع له وزجر عن ذلك الظن الخاطئ، فليس الأمر كما ظنه وتوهمه؛ ليس ماله ذلك الذي جمعه، وفرح به، وشغف به، وأحصاه مبقيًا له في الحياة الدنيا.

ثم أخبر جل ثناؤه أن من كانت تلك صفاته، فإنه هالك ومعذب على أفعاله ومعاصيه، التي كان يأتيها في الدنيا، فقال جل ثناؤه: { لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ}؛ أي: والله ليقذفن ويطرحن مخزيًا حقيرًا مهانًا يوم القيامة في الحطمة، والحطمة: اسم من أسماء النار، ثم يفخم ربنا جل جلاله أمر هذه النار الموصوفة بالحطمة، ويزيد التهويل لشأنها، فيقول: {وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ}؛ يعني: وأي شيء أشعرك وأعلمك يا محمد ما الحطمة؟ ثم أخبره عنها ما هي، مبينًا صفاتها، فقال: هي: {نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ}؛ أي: التي يطَّلِع ألمها ووهجها، ويغشى عذابها، ويعلو على القلوب، ثم يختتم ذلك الوصف والوعيد، فيقول تعالى ذكره: إن الحطمة التي شرحت صفتها ستكون على هؤلاء الهمازين اللمازين { مُّؤۡصَدَةٞ}؛ يعني: مطبقة { فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ }؛ أي: يعذبون بعمد في النار؛ أي: فهم سجن حصين لا يمكن الانفلات منه[35].

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا الوعيد وارد في مهاجمة الكفار الذين كانوا يعيبون النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كما مرَّ، عند ذكر من نزلت فيهم السورة، ومن كان مسلمًا واقعًا في الهمز واللمز فإنه يناله نصيب منه بقدر اقترافه.

المبحث الثالث: موضوعات سورة الهُمَزَة، وعلاقتها بالواقع المعاصر

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: موضوعات سورة الهُمَزَة:

أولًا: حرمة الغيبة والنميمة:

(35) ينظر: الطبري، جامع البيان (616/24- 624)، وابن عطية، المحرر الوجيز (521/5- 522)، وتفسير المراغي (238/30)، والزحيلي، التفسير المنير (399/30- 403).

الغيبة مرض اجتماعي خطير، له أضراره البالغة على الفرد والمجتمع، فمن أضراره على الفرد ما جاء في هذه السورة من وعيد شديد لمن اتصف بهذا المرض، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهُمَزَة:1]، وفي السنة النبوية ما يبين بعض هذا الوعيد، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: "لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس، يخمشون بها وجوههم، وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم"[36].

وتتضمن السورة النهي عن النميمة بناء على تفسير ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لـ(لهمزة) بأنه المشاء بنميم[37]، ومن المعلوم أن النميمة تعرض صاحبها لوعيد شديد إضافة إلى ما سبق من الويل، وهو الوقوع في أسباب عذاب القبر، كما جاء من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: مر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على قبرين، فقال: أما إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة ..."[38] الحديث.

ومن أضرار هذين المرضين على المجتمع أنهما يفسدان الإخوة، ويسببان مشاكل اجتماعية كثيرة من طلاق، وحقد، وضغائن، وقطيعة لصلة الأرحام، وغير ذلك.

ثانيًا: تحريم السب والشتم، والسخرية، واحتقار الآخرين والطعن فيهم:

تضمنت هذه السورة الكريمة على –وجازة لفظها– التحذير –أيضًا– من آفات اجتماعية أخرى، لا تقل خطورة عن الآفتين السابق ذكرهما، وهي: النهي عن السب، والشتم، واحتقار الآخرين، والسخرية منهم، بناءً على تفسير مجاهد، وقتادة وغيرهما لـ(للمزة) بأنه الطعان في الناس[39]، والطعن كلمة تتناول عدة تصرفات من سب، وشتم، ولعن، وازدراء، طعن بالقول كان أم بغيره، أو كان طعنًا بالإشارة.

كما أنها تحكي لنا تلك الحال الشنيعة التي كانت تقاسيها الجماعة المسلمة حينذاك، وما يتعرضون له من أذى شديد في مجتمع مكة، فكأن هذه الآية القرآنية تقول للمسلم: لا تجعل أكابر المشركين، وصناديد الكفر من قريش قدوةً لك، فتتسلط على أبناء دينك بأي نوع من أنواع هذه الأمراض الاجتماعية، كما أنَّ في هذه السورة تربيةً للمسلم، وردعًا له من الوقوع في تلك الآفات الخطيرة التي توعد الله أصحابها بنار عظيمة الاتقاد والاشتعال.

ولو نظرنا إلى التقييم النبوي لمرض واحد من هذه الأمراض لوجدناه قد جعله عظيم الخطر، بالغ الضرر، فأصدر حكمه على من يحتقر أيَّ مسلم كان بأنه واقع في شر عظيم؛ إذ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه"[40].

ثالثًا: التعالي بالمال، والترفع على الآخرين:

(36) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب الغيبة، برقم: (4878)، (240/7)، وصححه محقق الكتاب: شعيب الأرناؤوط.
(37) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز (521/5).
(38) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول، ووجوب الاستبراء منه، برقم (292)، (ص: 136).
(39) ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (618/24).
(40) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، برقم (2564)، (ص: 1064).

في هذه السورة بيان للدافع لأولئك المشركين وراء تلك الأمراض الاجتماعية الذي يتمثل في التفاخر بالمال، والتعالي به على الآخرين، والمتأمل للقرآن الكريم يجد أن الله تعالى قد بيَّن أن المال وراء طغيان الإنسان، وتجاوزه الحد، قال تعالى: (كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧) [العلق:6- 7]، فالغِنَى يصيب الإنسان بالأَشِر.

وكم قص الله علينا من أحوال الطاغين بسبب توالي النعم عليهم، فإن الطغيان لا يقتصر على طغاة السلطة؛ بل يكون بالمال، ومن أبرز القصص في ذلك: قصة قارون، إذ أعطاه الله ثروة مالية هائلة، فحمله ذلك الغنى على البطر، والأشر، والتعالي على الناس، وظن أنَّ ماله ذلك إنما كان نتيجة حنكة، وذكاء، وحسن تصرف في التجارة، لا هبة من الله تعالى، ابتلاه بها، فلم يؤدِّ حق الله في ماله، ولم يشكره على نعمته؛ بل ذهب مختالًا مفتخرًا، في مواكبه، ومراكبه، وخدمه، وحشمه، يفخر على الفقراء، ويعاند نبي الله موسى –عليه السلام– حتى خسف الله به وبداره، وصار خبرًا يُروى، وحديثًا للعظة والذكرى[41].

ومن أولئك الذين أنبأنا الله عنهم في هذا المضمار هؤلاء النفر من قريش الذين ظنوا أن أموالهم ستخلدهم في الحياة، وستدفع عنهم العذاب، فرد الله عليهم بأن ظنهم هذا خاطئ، لا يَمُتُّ إلى الحقيقة بصلة، إذ قال: (ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤)[الهُمَزَة:2-4].

ومما تجدر الإشارة إليه –هنا– أن الأمراض الاجتماعية التي حذرت منها السورة، في عداد كبائر الذنوب، التي يجب على من ارتكبها، أو ألمَّ ببعضها التوبة فورًا، وإلا صار مهددًا بأليم العقاب، يدل على ذلك ما جاء عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا أنه قال: "الكبائر: كل ذنب ختمه الله بنار، أو غضب، أو لعنة، أو عذاب"[42]، وهذه الذنوب كما نراها قد ختم الله تعالى السياق الذي وردت فيه بالعقاب الشديد، والوعيد الأكيد، للواقعين في مستنقعها، كما سيأتي في الفقرة الآتية.

رابعًا: وصف النار الكائنة مصيرًا للهُمَزَة اللُّمَزَة:

تحدثت سورة الهُمَزَة في الآيات من [4- 9] عن موضوع مرعب، يخيف العباد خبره، ويوقظ الغافلين نبأه، فيه نذارة لقوم، وبيان لمصيرهم، جاء بصيغة القسم المدلول عليه باللام الواقعة في جواب القسم، قال تعالى: (لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ)[43]، ثم تلاه أسلوب إنشائي آخر جاء بطريق الاستفهام: {وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ} [الهمزة:5]، سؤال ليس فيه طلب للجواب، ولكنه لتفخيم الأمر، وتعظيم الخطر، إذ إن الجواب موجود، قال الآلوسي عن المعنى المراد من المجيء بالاستفهام: "لتهويل أمرها ببيان أنها ليست من الأمور التي تنالها عقول الخلق"[44]، إنه وصف للنار، ووسم لها باسم

(41) ينظر: الزحيلي، التفسير المنير (159/20).
(42) الطبري، جامع البيان (652/6).
(43) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (539/30).
(44) الآلوسي، روح المعاني (462/15).

لا يوجد في غيرها من السور، وهو الحطمة، قال المفسرون: الحطمة: اسم من أسماء النار، كما يُقال لها: جهنم، وسقر، ولظى، وسميت بذلك لكسرها، وهشمها كُلَّ ما يُلقى فيها، كما يقال للرجل الأكول: الحطمة[45].

وفي هذا الاسم من الوصف المزعج الجالب للنفور، والبعد عن النار وعن الأعمال التي توجب عذابها ما فيه! إنه عظة كافية للانزجار، كما أن فيه –والعلم عند الله– حربًا نفسية لأولئك النفر الموصوفين بالصفات السابق ذكرها، فإذا ما أردنا أن نصف معنويات شخص مُنْهَار، نقول: لقد تحطم فلان، وفلان محطم، وتحطمت معنوياته، ولهذا الاستظهار ما يشهد له من الاستعمال العربي، قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مادة (حطم): "الحاء والطاء والميم أصل واحد، وهو كسر الشيء. يقال: حطمت الشيء حطمًا: كسرته، **ويقال للمتكسر في نفسه: حَطِمٌ**"[46]، وعليه فقد جمعت السورة بين الوعيد ببيان المصير، وبين الألفاظ الشديدة في إظهاره.

ولم تقف الآية عند ذلك التخويف فحسب؛ بل زادت الأمر رهبة وهيبة، قال تعالى: {نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ} [الهمزة:6]، فالإضافة إلى الله توحي بتهويل الأمر[47]، إنها نار الله، وليست نار غيره، نار لا تقوى عليها أجسادكم، ولا تطيقها أبدانكم.

وتستمر الآيات واصفة لعظيم هول هذه النار، قال تعالى: {ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ} [الهمزة:7]، تحذر الناس بأن عذاب هذه النار يصل إلى القلوب، التي هي أعز ما في الجسم، فتعلوها، وتدخل أوساطها، ومن أسرار تخصيص الفؤاد بالذكر أنه ألطف عضو في البدن، وأشد تألمًا من غيره، كما ذهب إلى ذلك بعض المفسرين، منهم: أبو حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ[48]، أو لأن هذا العضو من الجسد هو الأنسب بالعذاب دون غيره من جميع أجزاء الجسد، تلك القلوب التي كانت محلًا للعقائد الزائغة، والنيات الخبيثة، والمقاصد الرديئة، والملكات القبيحة، وكانت منشأ للأعمال السيئة؛ فلا غَرْوَ أن تكون هي الأولى بالعذاب، كما ذكره آخرون، منهم: الزمخشري، الآلوسي رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ[49].

ثم تختم السورة وصف النار بما يجلب يأس وارديها، وقنوط ساكنيها من حصول مخرج من عذابها، أو مخلص يتخلصون به منها، كما أن فيه قطعًا لرجائهم حتى لا يبقى معه أدنى بصيص من أمل[50].

أرأيت شخصًا محكومًا عليه بالسجن المؤبد، على أن يظل مكبلًا بالقيود، موثقًا بالسلاسل والأغلال، كيف يكون شعوره؟ وماذا ينتظر منه أهله، وأولاده؟ هذا مثل مشاهد محسوس، فكيف بنار الله الموقدة التي هي سجن لهؤلاء الواقعين في هذا الوعيد! أجارنا الله منها.

كل هذا الوصف الذي ذكرته بإيجاز بيان من الله تعالى للمصير المؤلم الذي جاء في صدر السورة (وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ) [الهُمَزَة:1]، هذا هو المصير الذي ينتظر الهمزة اللمزة، الجموع المنوع، الذي تعالى على الناس، وتكبر عليهم.

(45) ينظر: الطبري، جامع البيان (621/24).
(46) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (78/2).
(47) ينظر: الآلوسي، روح المعاني (462/15).
(48) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط (522/5).
(49) ينظر: الزمخشري، الكشاف (796/4)، والآلوسي، روح المعاني (462/15).
(50) ينظر: الرازي، التفسير الكبير (309/32)، والزحيلي، التفسير المنير (401/30).

المطلب الثاني: واقعنا في ضوء سورة الهُمَزَة:

إن المتأمل في هذه الآيات من جهة حديثها عن ذلك الواقع الذي كانت تعيشه الجماعة المسلمة في مهدها، والناظر إلى ما يعيشه العالم الآن يجد أن هذه الآيات تطرق واقعًا شبيهًا بذلك الواقع الجاهلي قبل أربعة عشر قرنًا من الزمان، **فما أشبه الليلة بالبارحة**[51]**!** تعددت وسائل تلك الأمراض الاجتماعية، وكثرت تطبيقاتها في عصرنا، وفي هذه السطور أحاول أن أُلمح إلى بعض التطبيقات العصرية للأمراض الاجتماعية التي تضمنتها سورة الهُمَزَة.

أولًا: وسائل عصرية في نشر هذه الأمراض الاجتماعية:

1- **وسائل التواصل الاجتماعي:** مع وجود الانفجار التقني، وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي كثرت هذه الأمراض الاجتماعية، ولم تعد محصورة في نطاق محدود؛ بل بضغطة زِرٍ تنتشر في أقطار الدنيا، فقد أصبحت تمارس، وتُنشَر تارة عبر الواتساب، وأخرى الفيسبوك، وثالثة التليجرام، أو الانستغرام، أو التيك توك، أو الرسائل النصية، أو المكالمات الصوتية، وغيرها من تقنيات العصر، وكذا ما تتضمنه هذه الوسائل من تقنيات مرئية، كالأيمو، ونحوه.

كل هذه الوسائل مجتمعة يمكن أن تكون –عند إساءة استخدامها– أداة هدم للمجتمع تنتشر فيها الغيبة، ويتبادل بواسطتها النميمة والإفساد، ويتسلل منها إلى أوساط المجتمع السب، والشتم، والهزء، والسخرية، والاحتقار، والتنقص، والواقع بذلك خير شاهد.

2- **الوسائل المرئية العامة:** من تلفزيون، وسينما، وغيرها، ويتم انتشار تلك الأمراض عبرها بسرعة خاطفة، ومع وجود هذا الكم الهائل من الانتشار السريع يعظم الضرر ويتسع الشر على الفرد، والمجتمع.

3- **الوسائل المقروءة:** لم تعد الوسائل العامة المقروءة في عصرنا الحديث تقف عند الوسائل الورقية؛ بل أصبحت ذات نطاق أوسع من ذي قبل؛ لتعدد الوسائل التي تتيحها، فهناك مجلات، وصحف، وجرائد تَصْدُرُ ورقية، وتقنية (إلكترونية)، كما أنها تختلف في محتواها، ونشراتها، فمنها الوسائل التي تعمل على نشر الخير، ومنها الوسائل التي تعمل على نشر المخالفات، والانحرافات، كالسب، والشتم، والطعن، والسخرية، والاحتقار، والهمز، واللمز، وغيرها من الأمراض الاجتماعية.

وتختلف هذه الوسائل عن وسائل التواصل الاجتماعي، من حيث الهدف، والمضمون، والفئة المخاطبة، والمجال الذي تعمل على نشره، فبعضها تهدف إلى نشر الإباحية، وأخرى تهدف إلى نشر العنصرية التي تتضمن الهمز، واللمز لعرقيات، والإشادة بعرقيات أخرى، وبعض آخر يهدف إلى نشر السخرية من شخصيات عامة، سياسية كانت أم اجتماعية أم غير ذلك، كما تعمل عدد من الوسائل على نشر الأمراض الاجتماعية التي حذرت منها سورة الهُمَزَة

---

(51) أصل هذا المثل عَجُزُ بيت، من أبيات قالها طرفة بن العبد في قصة سأذكرها عند بيان مورد المثل، قال طرفة:

كلُّ خَليلٍ كنتُ خَالَلْتُه لا تَرَكَ الله له وَاضِحَهْ
كلهمُ أَرْوَغُ من ثَعْلب مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بالبَارِحَهْ

ومورد المثل: قاله طرفة بن العبد حين كتب عمرو بن هند بقتله إلى عامله بالبحرين، وأوهمه بأنه كتب إليه بأن يصله، فقال طرفة -يلوم أصحابه في خذلانهم له- أبياتًا منها ما سبق ذكره، فطارت مقالته مثلًا.

وأما مضربه: فيُضْرب عند حصول تشابه بين أمرين أو شيئين، ينظر: ديوان طرفة بن العبد (ص:4)، والبكري، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال (ص:227)، النيسابوري، مجمع الأمثال (275/2).

بأشكال متعددة سيأتي الحديث عنها، وتخاطب هذه الوسائل –غالبًا– العامة، بينما وسائل التواصل الاجتماعي موضوعة في الأصل لفئات معينة.

4- **الذكاء الاصطناعي:** وهو عبارة عن تقنيات حديثة أذهلت العالم، ودخلت كل بيت، وأصبحت جزءًا من حياتنا اليومية، ويُعَرَّف الذكاء الاصطناعي بأنه: "علم يهتم بصناعة آلات تقوم بتصرفات، يعتبرها الإنسان تصرفات ذكية"[52].

ومن أشهر برامج الذكاء الاصطناعي، وأكثرها استخدامًا (Chat GPT)، وهو يقوم على التفاعل مع مستخدميه، والتصميم، والاستجابة لما يُطلب منه، وكذا (Gemini)، و(Bing)، و(Deep Seek)، وغيرها.

والناظر إلى الذكاء الاصطناعي يجد أنه في تطور مذهل، وسريع، فهو يقوم بأعمال كثيرة حسب ما يُطْلَبُ منه، على تفاوت في الدقة، فالبرامج المجانية لا تكون نتائجها دقيقة، بينما البرامج المدفوعة الأجور تكون أكثر دقة ومصداقية، بَيْدَ أنها سلاح ذو حدين، يخضع استخدامها لمن يتعامل معها، فقد تكون أداة خير وثقافة وإصلاح، إذا تم استخدامها استخدامًا رشيدًا وَفق ما يسمح به القرآن الكريم، والسنة المطهرة، فتعمل على نشر الوعي والثقافة، وغيرها، وقد تكون أداة شر وهدم وغواية.

والذي أود الإشارة إليه هنا التحذير من تسليط الذكاء الاصطناعي في طرق الغواية والفساد، ومن خلال متابعة بعض ما تقوم به هذه الروبوتات ألاحظ جملة من الأمراض الاجتماعية التي حذرت منها سورة الهُمَزَة:

1- الصور الساخرة (الصور غير الصحيحة) التي تظهر شخصًا صالحًا يقوم بعمل أخلاقيات سيئة، كتصوير رأس إنسان وتركيبه على كلب، أو حمار، أو قرد، أو حية، أو غيرها من الأفاعيل.
2- تقليد علماء دين بالصوت والصورة، وتلبيسهم بلباس يُظهِرهم بمظهر غير لائق، من خلال مقاطع تتقمص شخصياتهم بهدف التشويه بهم، والطعن فيهم، وغمزهم بما هم منه برآء.
3- إظهار قيادات اجتماعية أو سياسية بمظهر غير لائق؛ للتشويه بهم، وإحراق شخصياتهم أمام جماهيرهم.
4- تغيير أصوات عن طبيعتها إلى أصوات سيئة أو أصوات حيوانات، أو كلاب، أو غير ذلك.

هذه الأعمال ونحوها هي الأمراض الاجتماعية عينُها التي حذرت منها سورة الهُمَزَة، وإنما أردت ربط هداية القرآن الكريم بالواقع، واستشراف المستقبل، للمساهمة في مدافعة هذه الوسائل المعاصرة التي اتسع نطاقها، وشاع شرها، وفحش ضررها، فما أعظم خطرها، وما أشد وعيدها، وصدق الله، إذ يقول: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور:15]؛ ولذا شبه الله أحدَ هذه الأمراض، وهو الغيبة بأكل لحم أخ ميت، إنه تشبيه تتقزز منه النفوس، وتنفر منه الطباع؛ لعظم ضرره وفساده، فقال: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:12].

(52) عبد النور، علم الذكاء الاصطناعي (ص:7).

هذا، ولم أشر هنا إلى روابط ترشد القارئ للرجوع إليها؛ لأنني أصف ظاهرة نعيشها، ونازلة يعرفها كل من يتناول هذه الأجهزة، ويتعامل معها، فقد صارت ظاهرة لا تخفى على أكثر الناس؛ بل إن ذكرها قد يثير إشكالًا هنا أو هناك، ولربما يتحول الرابط إلى أداة جلب لتقليد الهُمَزَة اللُّمَزة.

ولم يقف الهمزة اللمزة في زماننا الحاضر عند الأنماط القديمة، والأشكال التي كانت موجودة إبَّان نزول القرآن الكريم، بل ذهب يتفنن في همزه ولمزه، ويتخذ أنماطًا متعددة، وأشكالًا مختلفة لنشر أذاه، كما سيأتي الحديث عنها في الفقرة الآتية.

ثانيًا: أشكال عصرية في الطعن، والاحتقار، والأذى للمسلمين:

تعددت أشكال الطعن، والسخرية، والاستهزاء، واللمز، والهمز، والأذى للمسلمين في عصرنا أكثر من ذي قبل؛ واتخذت أنماطًا متعددة، فظهرت الرسوم الساخرة التي تسمى بالكريكاتور، وطال أذاها جناب المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وأصحابه الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كما ظهرت المسلسلات التي تمثل الأنبياء، والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بدون خجل أو حياء، وهو فعل خطير لا يقره الشرع الحنيف؛ فقد نقل موسى الدالي اتفاق العلماء المعاصرين على تحريمه[53]، ويؤكد ذلك قرارات عدد من المجامع الفقهية حول العالم، منها البيان الصادر عن مجمع الفقه الإسلامي المنعقد بمكة في دورته العشرين 1432هـ، بعنوان: بيان حول تمثيل شخص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وجميع الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– والصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومما تضمنه البيان الآتي: "ويُذَكِّر المجمع بقرار هيئة كبار العلماء، وفتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية، وفتوى مجمع البحوث الإسلامية في القاهرة، وغيرها من الهيئات والمجامع الإسلامية في أقطار العالم التي أجمعت على تحريم تمثيل أشخاص الأنبياء والرسل مما لا يدع مجالًا للاجتهادات الفردية كما يُذَكِّرُ بما صدر عن الرابطة في 1431/11/16هـ ..."[54]، وذكر بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ أن الإجماع أيضًا يتناول نساءه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وأولاده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فقال: أجمع العلماء القائلون بالجواز المقيد على تحريم تمثيل الأنبياء –عليهم السلام–، وأمهات المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ، وألاده –عليهم السلام–، والخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[55]، كما أن تمثيل المرأة –صحابية كانت أم غيرها– حرام، قال الزحيلي رَحِمَهُ اللَّهُ: "صور التلفاز وما يعرض فيه من رقص وتمثيل وغناء مغنيات، كل ذلك حرام في رأيي"[56].

وهذه المسلسلات تظهر خيالات بعيدة عن الواقع؛ بل تزيف الحقائق، وتنشر الشرور والبوائق، فائقةً أذى قريش ومكرها، فيمثل أشرارٌ فجارٌ أدوار أولئك الصالحين الأبرار.

ويمتد أذاها فيبرز بعض الصالحين في صورة عشاق، هَمُّهُم من فتح البلدان التطلع إلى محبوباتهم –كما زعموا– وهكذا ترى مسلسلات تُظهِر أن الإسلام دين وحشية وعنف وسفك للدماء، بعيد عن المحاسن.

(53) ينظر: الدالي، أحكام فن التمثيل في الفقه الإسلامي (ص:181).
(54) ينظر: قرارات مجمع الفقه الإسلامي، الدورة العشرون (ص:531- 536).
(55) ينظر: أبو زيد، حكم التمثيل (ص: 43).
(56) الزحيلي، التفسير المنير (2676/4).

ويمتد طعنها في المسلمين ليظهر الحضارة والتقدم في صورة الانحلال والبعد عن الدين، وأن التخلف والرجعية والضعف كائن في التدين والمحافظة على المبادئ، وهكذا يستمر الهُمَزَة اللُّمَزة في أذاه للجماعة المسلمة، يتخذ في كل عصر لونًا، ويلبس في كل زمن للأذى ثوبًا آخر.

ومن خلال ما نشاهده في عالمنا نجد أن أشكال الهمز، واللمز لم تعد كما كانت في عهد نزول سورة الهُمَزَة؛ بل أصبحت تتخذ الأشكال الآتية:

1- الشكل المكتوب، وهو ينقسم إلى قسمين: ورقي، و(تقني) إلكتروني.
2- الشكل المرئي (غير المقروء)، وهو ينقسم إلى قسمين: مباشر، كالمسرحيات الهزلية التي تشاهد من دون وسائل، ومرئي عبر الوسائل السابق ذكرها، وهو الأغلب وجودًا، والأسوأ تأثيرًا، والأسرع انتشارًا.
3- الشكل المسموع، وهو يمكن أن يكون عبر الأجهزة التي تنشر أصواتًا من دون صورة؛ كالمذياع، وأجهزة (Mp3)، وأجهزة الهاتف بأنواعه.
4- أشكال أخرى، كإهانة الصور للرموز الإسلامية، أو الاجتماعية، ونحوها، من خلال عدة أعمال مؤذية، كالمشي عليها، أو إحراقها، أو تمزيقها؛ أو نحو ذلك مما يتضمنه لفظ: الهمز، واللمز.

ثالثًا: بين النظرة المادية في الجاهلية الأولى، والمادية المعاصرة:

يفخر الإنسان منذ القدم بماله، ويتعالى بما وهبه الله من نعمة مادية، متناسيًا أن المال وديعة عنده، ابتلاه الله به، ومن يتأمل الكتاب العزيز يجد أن الأقوام الغابرة تعالت بالمال، والغنى، والترف على ضعفة المؤمنين من أتباع الأنبياء، ففي تاريخ الإنسانية الغابر نجد عتاة قوم نوح، يقول قائلهم لنوح –عليه السلام–: (مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ) [هود:27]، وتستمر هذه النظرة المادية الساخرة من الضعفاء، المضطهدة للمؤمنين في كل أمة عبر تاريخ الإنسانية الطويل، تنتقل من أمة إلى أمة، حتى جاء محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، فيقول ملأها: (لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) [الزخرف:31]، ويتطاولون على النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، ومن معه من المؤمنين، ويقول بعضهم لبعض –كما يصور القرآن الكريم تلك النظرة المادية الساخرة–: (أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ) [الأنعام:53].

وحَسِبَ الإنسان المغرور أن ماله هو الذي يخلده في الحياة، وأنه لن يمر به بؤس، ولا شدة، وأنه محظوظ، وذكي، في جمع تلك الأموال، فجاءت السورة ردًا على هذه النظرة القاصرة مبينةً أن الأمر ليس كما يتوهمه أولئك الجاهلون. ومن ينظر إلى جاهلية قريش، ويربطها بمادية العصر الحديث –عصر المادة، والثراء، والأشر، والبطر– يرى أن هذا الداء في عصرنا عظيم الخطر، كبير الضرر، بل زاد أصحابه تعنتًا، وكبرياء، وسلبًا للضعفاء ومصادرة للحقوق، وتحكمت مجموعة الدول الغربية الغنية في اقتصاد العالم، وصادرت أموال الدول الفقيرة، وصنفت على أساس المادة العالمَ إلى متقدم ومتخلف، ونظرت إلى الحياة المادية، وأهملت جانب الروح، فعظُم الشر، وفسد العالم، وتخبطت الحياة، فوا أسفاه.

المبحث الرابع: رؤية استشرافية لعلاج الأمراض الاجتماعية التي حذرت منها سورة الهُمَزَة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بناء رؤية استشرافية لعلاج الأمراض الاجتماعية في ضوء سورة الهُمَزَة:

تضمنت السورة الكريمة جملة من التحذيرات التي ترشدنا إلى الحفاظ على سلامة المجتمع من الوقوع في الأمراض الاجتماعية التي سبق ذكرها، فاشتملت على تعليمات من شأنها أن تسهم "في علاج مشكلة خلقية مستعصية بين الناس، وهي الطعن في الآخرين بالغيبة أثناء غيابهم، أو بالعيب حال حضورهم"[57].

ويمكن أن نستشف جملة من العلاجات القرآنية في هذه السورة؛ استنباطًا من الآيات القرآنية، وذلك على النحو الآتي:

أولًا: الزجر عن الوقوع في الأمراض الاجتماعية التي حذرت منها سورة الهُمَزَة (التخلية):

إن المتأمل في سورة الهُمَزَة تظهر له جوانب الزجر الآتية:

1- غرس الخوف من الله تعالى، والمراقبة له سبحانه وتعالى:

في سورة الهُمَزَة تحذير عظيم، يُستفاد من دلالة قوله تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾ [الهُمَزَة:1]، الذي يفيد الوعيد الشديد؛ إذ عَبَّر الله تعالى عنه بالدعاء على هؤلاء المخالفين، وفي هذا علاج وقائي لمن تُسَوِّلُ له نفسه الوقوع في هذه الأمراض.

2- إيضاح الصورة الحقيقية التي رسمها القرآن للواقعين في هذه الأمراض الاجتماعية:

صورت سورة الهُمَزَة الواقعين في هذه الأمراض بصورة مقززة تجعل من سمعها ينفر عنها، فهي تبين الهلع والحرص الشديد على جمع المال، والركون عليه في جلب السعادة الموهومة، قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "{كَلَّا} إبطال لأن يكون المال مخلدًا لهم، وزجر عن التلبس بالحالة الشنيعة التي جعلتهم في حال من يحسب أن المال يخلد صاحبه، أو إبطال للحرص في جمع المال جمعًا يمنع به حقوق الله في المال من نفقات وزكاة"[58].

3- بيان المصير المشؤوم لمن وقع في هذه الأمراض الاجتماعية:

استعمال ألفاظ تهديدية عظيمة الوقع، بليغة الزجر، بدءًا بـ(وَيۡلٞ)، الدال على الخزي والعذاب والهلاك، وتثنيةً بـ{قۃ} المتضمن للردع والزجر، وتثليثًا بـ{لَيُنۢبَذَنَّ} التي يتضمن معنى فيه غاية التحقير، "فإنما ذكره بلفظ النبذ الدال على الإهانة؛ لأن الكافر كان يعتقد أنه من أهل الكرامة"[59]، مرورًا بـ{ٱلۡحُطَمَةِ) التي تتضمن التهشيم، وكأن هؤلاء زرع يَبِسَ، وصار هشيمًا، وكذلك ما في لفظ الاستفهام من الترويع والتهويل، مع ما يدل عليه لفظ: { ٱلۡمُوقَدَةُ} من الاشتعال والتلهب، و"التوقد: ابتداء التهاب النار فإذا صارت جمرًا، فقد خف لهبها، أو زال"[60].

(57) الزحيلي، التفسير المنير (396/30).
(58) ابن عاشور، التحرير والتنوير (539/30).
(59) الرازي، التفسير الكبير (285/32).
(60) ابن عاشور، التحرير والتنوير (540/30).

ولم تكتف السورة بهذه الألفاظ العظيمة الهول؛ بل زادت الأمر تهويلًا؛ إذ جاء لفظ: {مُّؤۡصَدَةٌ}؛ ليُبيِّن أن الواقعين في مثل هذه الأمراض الاجتماعية سيكونون في سجن، ليس كأي سجن في الدنيا، إنه سجن لا يمكن الانفلات منه، لأنَّ "معنى إيصادها عليهم: ملازمة العذاب واليأس من الإفلات منه، كحال المساجين الذين أغلق عليهم باب السجن تمثيل تقريب لشدة العذاب بما هو متعارف في أحوال الناس، وحال عذاب جهنم أشد مما يبلغه تصور العقول المعتاد"[61].

4- تحقير الدنيا والتهوين من شأنها:

في قوله تعالى: {يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا} [الهُمَزَة:3-4] بيان أن الدنيا لا تغني شيئًا، وأن من تعلق بها، وركن إليها فهو خاطئ الظن، غير سالك المسلك الصحيح في الوصول إلى السعادة؛ إذ ظن أن السعادة والبقاء في جمع المال وتكديسه، والافتخار به، والفرح به، فبيَّنت السورة أن هذا المسلك عقيم الفائدة، بائر النتيجة.

5- بيان أن الجزاء من جنس العمل:

فقد اشتملت سورة الهُمَزَة على بيان هذه القاعدة العظيمة، قال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "كأنه تعالى يقول: إن كنت همزة لمزة فوراءك الحطمة، والثاني: أن الهامز بكسر عين ليضع قدره، فيلقيه في الحضيض، فيقول تعالى: وراءك الحطمة، وفي الحطم كسر فالحطمة تكسرك وتلقيك في حضيض جهنم لكن الهُمَزَة ليس إلا الكسر بالحاجب، أما الحطمة فإنها تكسر كسرًا لا تبقي ولا تذر، الثالث: أن الهماز اللماز يأكل لحم الناس والحطمة –أيضًا– اسم للنار من حيث إنها تأكل الجلد واللحم"[62].

ثانيًا: الجوانب التي تحث عليها سورة الهُمَزَة (التحلية):

إن المتأمل لما تدعو إليه سورة الهُمَزَة يجد أنها تحث على جوانب كثيرة تسهم في إيجاد مجتمع سعيد يسوده الحب والصلاح، والتعاون، والتكافل، ويمكن إيضاح ذلك فيما يأتي:

أ- رسم مجتمع ذو إخاء متين وتعاضد قوي:

ويمكن إبراز ذلك من خلال الآتي:

1- الدعوة إلى حفظ أعراض الغائبين؛ وذلك بالبعد عن الغيبة.
2- ترسيخ الأخوة الإيمانية بين أفراد المجتمع من خلال البعد عن النميمة التي تفرق المجتمع، وتمزق الإخاء.
3- تهذيب مَنطِق الفرد، والدعوة إلى عفاف اللسان عن نهش أعراض الآخرين، وذلك بالبعد عن السب، والشتم، والبعد عن أذى الآخرين باللسان بأي نوع من أنواع الأذى اللساني.
4- الحث على تعظيم حقوق المسلمين، والمحافظة على سلامتها، وذلك بكف اليد عن التطاول على الآخرين؛ كما سبق بيانه في شرح لفظ الهمزة اللمزة الذي يتضمن النهي عن أذى الآخرين باليد.

(61) ابن عاشور، التحرير والتنوير (541/30).
(62) الرازي، التفسير الكبير (285/32).

5- الإرشاد إلى حفظ مشاعر المسلمين، وذلك بالكف عن السخرية منهم، أو الاستهزاء بهم.

6- الدلالة على التواضع، وخفض الجناح، وذلك بالبعد عن الترفع والتعالي عليهم.

ب- بيان طريق الحصول على المكانة العالية والسعادة الحقيقية:

وذلك من خلال الآتي:

1- تبصير المسلم بأن السعادة ليست في جمع المال وتكديسه؛ بل في إنفاقه فيما أمر الله تعالى، وأن الغنى يورث الكبر والتعالي على الآخرين، والإعجاب بالنفس، والانشغال عن السعادة الباقية بالخيال الزائف، كما أنه يطول الأمل، ويمنّي بالأماني البعيدة(63).

2- لفت الانتباه إلى أن رفعة القدر، وسمو المكانة إنما هو بالعمل الصالح، لا بكثرة المال.

3- الإرشاد إلى ما فيه تخليد للمرء في السعادة الدائمة، والعيشة الهنية، وذلك ببيان الحقيقة التي تخلد الذكر الحسن، وتعمل على إسعاد صاحبها، قال تعالى: {كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ}؛ أي: "ازدجر أيها العيّاب عما خيل إليك من أن المال يخلدك ويبقيك؛ بل الذي ينفع هو العلم وصالح العمل"(64).

ج- الربط بين المادة والروح:

فالنظرة المادية تدعو إلى مجرد جمع المال والحرص عليه، والنظرة الروحية تُرَشِّدُ ذلك الجمع وتبصر الجامع لما فيه مصلحته، يظهر لي من تدبر الآيات الثالثة، وما بعدها التي تدل على إرشاد المسلم إلى الزهد في الحياة، وعدم الركون عليها، وتذكر الآخرة، والمصير الحقيقي، من خلال الحديث عن النار، والحطمة.

وفي السورة -أيضًا- جمع بين إرشاد المسلم إلى بناء مجتمع متماسك تسوده السعادة، وبين النظر في مآله ومصيره، كما أن فيها تصويرًا لما ينفعه في الدنيا، والآخرة، وهذا لا يحصل إلا بالجمع بين النظرتين المادية والروحية.

وعليه فإن الجمع بين جانبي التخلية والتحلية السابق ذكرهما يحصل للمسلم علاج فعَّالٌ لمن هم بالوقوع فيما حذرت منه سورة الهُمَزَة، كما أن أنها بلسم شافٍ لمن وقع في بعض تلك الأمراض.

المطلب الثاني: الواقع المأمول في ضوء سورة الهُمَزَة:

إذا عمل المسلم بالهدايات القرآنية التي أرشدتنا إليها سورة الهُمَزَة وَفْق الرؤية الاستشرافية التي أشرت إليها في المطلب السابق، فإنه يمكننا إنتاج فرد صالح في أسرته، ومجتمعه، ووطنه، وأمته، وإذا صلح الفرد صلح المجتمع؛ إذ إن كل فرد يُمَثِّلُ لبنة في المجتمع، وركيزة من ركائزه، وعليه فإننا سنجد الآتي:

(63) ينظر: الزحيلي، التفسير المنير (401/30).
(64) تفسير المراغي (239/30).

– أبوين يحثان أبناءهما على البعد عن الغيبة والنميمة، ومجانبة الاستهزاء والسخرية، والنفور عن مجالسة الطاعنين في أعراض المسلمين، ومجافاة المجالس التي يكثر فيها الطعن أو الغمز للآخرين، كما يدعوانهم إلى التواضع، ويبيّنان لهم طرق السعادة الحقيقية، ويرغبانهم في بذل المال، وإنفاقه في وجوه الخير، كما يشرحان لهم أن المال نعمة من الله يجب علينا شكرها ... الخ.

– مسلمًا ومسلمة يُعَظِّمان أعراض المسلمين، ويحفظان لهم حقهم، ويخفضان الجناح لهم، ويبذلان المال حيث أمر الله، ويتذكران المصير الذي تُساق إليه البشرية جميعًا، كما يجانبان الوقوع في تلك المنهيات التي تعرضهما للدخول في مسمى الهُمَزَة اللُّمَزَة.

- مُعَلِّمًا يربي الناشئة على تجنب الهَمْز واللَّمْز، وغيرهما من المحاذير التي نهت عن السورة الكريمة.
- مصممًا، ومبرمجًا يخاف الله، ويخشى من الوقوع في الأمراض الاجتماعية السابق ذكرها.
- مشاهدًا لا يقترب من المواقع التي تعمل على نشر هذه الأمراض.
- مستمعًا انتقائيًا للمحتوى البعيد عن تلك الأمراض.
- منتجًا للبرامج الذكية الخالية مما حذرت منه سورة الهُمَزَة.
- كاتبًا في الوسائل المقروءة العامة، أو الاجتماعية بعيدًا عن الوقوع في منهيات سورة الهُمَزَة.
- قارئًا لا تقع عيناه إلا على المقالات النافعة، يبتعد عن المقالات الساخرة، أو الطاعنة، ونحوها.
- شاعرًا وروائيًا يخلو عملهما الأدبي من أغراض الهجاء المذموم، ونحوه، ويسيران في إنتاجهما الأدبي وَفْق هدايات هذه السورة.
- موظفًا أو رفيعًا في المجتمع، لا يحتقر من دونه، ولا يتعالى عليهم بجاهه ومنصبه.
- غنيًا لا يترفع على غيره بماله.
- شبابًا يقومون بالنصيحة للآخرين، والتحذير من الوقوع في الأمراض الاجتماعية التي نهت عنها سورة الهُمَزَة، وغيرها من السور.

وعليه فستكون النتيجة هي: مجتمع خال من مظاهر السخرية، مبتعد عن مقارفة الهمز، واللمز بأي نوع كان.

وبهذا التأمل لسورة قصيرة يجد الباحث أنها قد حوت ما لم تحوه أنظمة حديثة، حيث رسمت التصور الإسلامي للمادة والروح، وسعت في تهذيب الأخلاق، وتقويم الاعوجاج، وبينت المصير، وأنارت الطريق، في أربعة أسطر، فسبحان الحكيم الخبير، ويمكن استخلاص عدة مضامين مستفادة من السورة، ومن أهمها الآتي:

1- أن العبد لا يؤخذ إلا بذنبه.
2- وجوب المحافظة على أعراض المسلمين، والحفاظ على مشاعرهم.
3- أن الهمز واللمز، والتعالي بالمال، والركون إليه أخلاق بالغة السوء يجب اجتنابها.
4- خطر الوقوع في كبائر الذنوب.

5- إرشاد السورة إلى تصحيح المفاهيم المغلوطة.

6- وجوب شكر الله على نعمه، والحذر من جحدها.

7- ضرورة الأخذ بطرق السعادة، واجتناب طرق الشقاء.

8- أن الجزاء من جنس العمل.

9- الترهيب طريق لردع المخالفين.

10-مكانة القلب العالية في جسم الإنسان.

11-أن الحرب النفسية عنصر مهم؛ لكبت العدو.

12-الدعوة إلى الإيمان بالغيب.

الخاتمة:

ختامًا أحمد الله على توفيقه، وامتنانه، وأشكره على عظيم إحسانه، وقبل أن أغادر البحث، هذه أهم النتائج التي توصلت إليها، والمقترحات والتوصيات:

أولًا: نتائج البحث:

من النتائج التي توصلت إليها:

1- أن الوحدة الموضوعية للسورة تتمثل في: بيان الحزب الأكثر الخاسر الذي ألهاه التكثر، فبانت خسارته يوم القيامة، فالسورة تتحدث عن الكفار، ومصيرهم، وتبين صفاتهم.

2- أن هذه السورة وجيزة في عباراتها، عظيمة في مغزاها، فقد حذرت من عدد من الأمراض الاجتماعية التي تضر بالفرد والمجتمع، وهي: الغيبة، والنميمة، والسب، والشتم، والسخرية، والطعن في الآخرين، واحتقارهم، والترفع عليهم.

3- أن السبب الأبرز وراء كثير من الأمراض الاجتماعية هو الترف، وجمع المال، والتعالي به.

4- أن العصر الحديث اتسم بزيادة الأشكال، والوسائل والأساليب التي تُسهم في نشر هذه الأمراض الاجتماعية، مما يستدعي جهودًا متعددة لمواجهة الانحراف الحاصل بسببها.

5- أن الانفجار التقني يمثل سلاحًا فتاكًا في يد من يستخدمه لإفساد المجتمع.

6- أن هدايات القرآن الكريم تتناول كل عصر بما يلائمه، كما تَضَمَّنَ البحث بيان النظرة القرآنية التي تربط بين هداية القرآن، والواقع المعاصر، واستشراف المستقبل.

7- التوصل إلى استنباط العلاج القرآني للأمراض الاجتماعية التي حذرت منها السورة.

ثانيًا: المقترحات والتوصيات:

- أقترح على الباحثين ربط الهدايات القرآنية بمستجدات العصر، ومتغيراته، وتوظيف أصول التفسير في استنباط العلاج القرآني لكل جديد يدهمنا.

– أوصي الجهات الإعلامية وأقسام البرمجة ودارسي التقنيات المعاصرة بالاستفادة من الدراسات القرآنية الجادة في مواجهة الأخطار التي تهدد ثقافتنا الإسلامية.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1- أبو زيد، بكر بن عبد الله (ت:1429هـ)، 1411هـ، حكم التمثيل، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ط/1.

2- الأندلسي، عبد الحق بن غالب المعروف بابن عطية (ت:542هـ)، 1422هـ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط/1.

3- البخاري، محمد بن إسماعيل (ت:256هـ)، 1436هـ- 2015م، صحيح البخاري، مكتبة الإمام مسلم للنشر والتوزيع، القاهرة، ط/1.

4- البقاعي، إبراهيم بن عمر (ت:885هـ)، 1408هـ- 1987م، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، مكتبة المعارف، الرياض، ط/1.

5- البقاعي، إبراهيم بن عمر (ت:885هـ)، 1415هـ- 1995م، نظم الدرر في تناسب الآي والسور، تح: مهدي، عبد الرزاق غالب، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط.

6- البكري، طرفة بن العبد بن سفيان (ت:564م)، 1423هـ- 2022م، ديوان طرفة بن العبد، تح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط/3.

7- البكري، عبد الله بن عبد العزيز (ت:487هـ)، 1971م، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تح: إحسان عباس، مؤسسة الرسالة بيروت- لبنان، ط/1.

8- حوَّى، سعيد بن محمد (ت:1409هـ)، 1424هـ، الأساس في التفسير، دار السلام، القاهرة، ط/6.

9- الخالدي، صلاح عبد الفتاح (ت:1443هـ)، 1433هـ- 2012م، التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمَّان – الأردن، ط/3.

10-الدالي، محمد بن موسى بن مصطفى، 1429هـ- 2008م، أحكام فن التمثيل في الفقه الإسلامي، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، ط/1.

11-الداني، عثمان بن سعيد (ت:444هـ)، 1414هـ- 1994م، البيان في عد آي القرآن، تح: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ط/1.

12-الرازي، محمد بن عمر (ت:606هـ)، 1420هـ، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/3.

13-ابن أبي زمنين، محمد بن عبد الله بن عيسى (ت:399هـ)، 1423هـ- 2002م، تفسير القرآن العزيز، تح: حسين عكاشة، ومحمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، القاهرة، ط/1.

14-الزحيلي، وهبة بن مصطفى (ت:1436هـ)، 1418هـ، التفسير المنير، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط/2.

15-الزركشي، محمد بن عبد الله (ت:794هـ)، 1434هـ- 2013م، البرهان في علوم القرآن، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط/1.

16-السجستاني، سليمان بن الأشعث المعروف بأبي داود (ت:275هـ)، 1430هـ- 2009م، سنن أبي داود، تح: شعيب الأرناؤوط، ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط/1.

17-السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:911هـ)، 1426هـ، مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط/1.

18-السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:911هـ)، 1431هـ- 2010م، تناسق الدرر في مناسبات السور، تح: جميل عبد الله عويضة، د. م. ط.

19-السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:911هـ)، (د. ت)، الإتقان في علوم القرآن، تح: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد، السعودية، ط/1.

20-شرف الدين، جعفر بن حسين (ت:2001م)، 1420هـ- 1999م، الموسوعة القرآنية -خصائص السور، تح: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت- لبنان، ط/1.

21-الشوكاني، محمد بن علي، (ت:1250هـ)، 1415هـ- 1994م، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تح: عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة- مصر، ط/1.

22-الصنعاني، عبد الرزاق بن همام (ت:211هـ)، 1410هـ، تفسير عبد الرزاق، تح: مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، ط/1.

23-الطبري، محمد بن جرير (ت:310هـ)، 1422هـ- 2001م، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح: عبد المحسن بن عبد الله التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط1.

24-ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (ت:1393هـ)، 1984م، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس.

25- عبد النور، عادل، 1426هـ- 2005م، مدخل إلى عالم الذكاء الاصطناعي، مكتبة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، السعودية.

26-الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير (ت:708هـ)، 1410هـ- 1990م، البرهان في تناسب القرآن، تح: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، د. ط.

27-ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (ت:395هـ)، 1399هـ- 1979م، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د. ط. م.

28-الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب (ت:817هـ)، (د. ت)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، د. ط.

29-القرطبي، محمد بن أحمد (ت:671هـ)، 1384هـ- 1964م، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط/2.

30-ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت:774هـ)، 1420هـ- 1999م، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، د. م، ط/2.

31-الماوردي، علي بن محمد (ت:450هـ)، (د.ت)، النكت والعيون، تح: السيد بن عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت،. د. ط.

32-مجمع الفقه الإسلامي، (د. ت)، قرارات مجمع الفقه الإسلامي في دوراته العشرين (1398- 1432هـ/ 1977- 2010م)، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، د. ط.

33-مجموعة من الباحثين، 1431هـ- 2010م، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط/1.

34-المخزومي، مجاهد بن جبر (ت:104هـ)، 1410هـ- 1989م، تفسير مجاهد، تح: محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط/1.

35-المُخَلِّاتي، رضوان بن محمد بن سليمان (ت:1311هـ)، 1412هـ- 1992م، شرح المُخَلِّاتي المسمى بالقول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز، تح: عبد الرزاق بن علي بن إبراهيم موسى، المدينة المنورة، ط/1.
36-المراغي، أحمد بن مصطفى (ت:1371هـ)، 1365هـ- 1946م، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط/1.
37-النيسابوري، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت:518هـ)، (د. ت)، مجمع الأمثال، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت- لبنان، د. ط.
38-النيسابوري، مسلم بن الحجاج (ت:261هـ)، (د. ت)، صحيح مسلم، تح: أحمد زهوة، وأحمد عناية، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، د. ط.